

أربعة كتب

— ٣ —

بقلم الاستاذ : عبد الحميد الرضوي

٣ — (الخرائج والجرائع)

(١) هو كتاب لقطب الدين الراوندي يبحث في احوال النبي وآله اي انه كتاب احاديث وفضايا واحوال هؤلاء الائمة وقد طبع مختصره في ايران ضمن مجموعة تحت عنوان شرح الازبعين للمجلسي كما طبع طبعة حجرية في الهند والكتاب الاصل مفقود وفي اثناء تقليبي لفهرست مكتبة آناث عزت على نسختين من اصل الكتاب احدهما متممة للآخرى وفيهما جميع الزيادات المفقودة من طبعة ايران اي المحذوفة عن نسخة منها . وسأحدثك عن ذلك المحذوف المهم لرجال تاريخ الامم .

وصاحب الخرائج والجرائع هو من شخصيات الائمة المامية التي تستحق الدراسة وبهم الاطلاع عليها . وقد جاء صاحبها بعد عصر المنيع مباشرة وهو احد مشايخ ابن شهر آشوب وبروي عن مشايخ عظام امثال السيد المرتضى والرازي وعماد الدين الطبري وابن الشجري والاكمدى وعن الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة وعن الفاضلة الجميلة بنت الشريف المرتضى عـ سلم الهدى عن عمها الشريف الرضى . والمؤلف اول شارح لنهج البلاغة (١) كما يقول عن شرحه ابن ابي الحديد وقد ادرج اقلية في شرحه لانهج وناقشه في جملة ارائه وهو من بيت كل اهله علماء ومحدثون . وصرح الشيخ مذهب الدين في فهرسته المطبوع في اخر جزء من البحار ان ابا الفضل محمد بن القطب الراوندي واخاه عماد الدين فقيهان نقسان .

(١) اختلف الشارحون في اول من شرح نهج البلاغة الى ثلاثة اقوال ولكن ابن ابي الحديد في مقدمة شرحه يقول الشارح الاول هو القطب .

وكان المؤلف عالماً متبحراً فقيهاً مفسراً ثقة جليلاً له مؤلفات قيمة وقال النوري . . . وكان له شعر اغفله المترجمون . وقال في معالم العلماء (شيخني ابو الحسين سعيد بن هبة الله القطب الراوندي له كتب ثم ذكرها .) وقبره بقم معروف بجوار الحضرة الفاطمية يزار توفي القطب عام (٥٧٣) هـ

(٢) كتيبه : كثيرة منها كتاب قصص الانبياء وكتاب لب الالباب والمفاتيح في شرح النهاية عشرة مجلدات و خلاصة التفسير عشرة مجلدات ومنها ج البراءة في شرح نهج البلاغة (١) والمستقصى في شرح الذريعة وضياء الشهاب و كتاب حل العقود و احكام الاحكام في الانفرادات و كتاب شرح ما يجوز وما لا يجوز و كتاب الاغراب في الاعراب و كتاب تهافت الفلاسفة و كتاب جواهر الكلام . ونفقة المصدر وهي مجموعة منظوماته و شرح الابيات المائة وجنى الجنتين في ولد العسكرين ، وفقه القرآن و كتاب البحر الى آخر كتيبه التي تبلغ الثلاثين ومنها كتاب الخرائج والجرائع : وهو الكتاب الذي دفعنا الى البحث ولم يبق من كتيبه غيره وغير شرح نهج البلاغة وقد فسر المؤلف في مقدمة الكتاب هذين اللفظين فالخرائج جمع خريجة وهي المعجزة التي تخرج على ابيدي الانبياء والاوصياء والجرائع جمع جريجة وهي المعجزة التي تخرج أي تكسب اربابها التصديق فيما يدعون واحدى النسختين كتبت سنة (١٠١٣) هـ وهي رديئة الخط جداً والثانية جيدة الخط ولمسكتها مخروقة الاول والذي يهمننا هنا البحث عن تلك الامور التي حذفها طابع النسخة الايرانية وقد حاول الطابع التدليس على القارئ حيث عنوان الكتاب « الخرائج والجرائع » وفي آخره ادرج هذه الكلمة بالخط الموهوم وفي اثناء الخاتمة « هذا هو المختار من الخرائج والجرائع » والحق ان المحذوف من هذا الكتاب مهم جداً في عصرنا هذا الذي اخذ يبحث عن مدى العقائد الاسلامية وهنا نلمح الى بعض ذلك وعليك بمراجعة الكتاب الخطي ان شئت (١) حذف باب ذكر اقوال الطائفة التي سماها الحربية وهي كما يقول طائفة من

(١) توجد منه نسخة خطية في طهران بمكتبة الحكومة في مجلد واحد .

طوائف الا-لام تقول بتسلسل الانبياء وعدم انقطاعهم مستدلين على ذلك بأدلة منها قوله تعالى (يا بني آدم اما باتينكم رسل منكم بقصون عليكم آياتي فن اتق واصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والمؤلف يطيل الكلام في هذه الفرقه وشرح آرائها والرد عليها ويقسم كلامه الى اربعة فصول طويلة ويتجسس ويجول ويصول في الرد عليهم مما يدك على انهم كانوا منتشرين في عصره . ومن الغريب جداً ان هذه الفرقه لم يذكرها احد من مدوني الآراء والمقائد الاسلاميه لذلك بعد هذا البحث في هذا الكتاب من فوائده (٢) حذف من آخر الكتاب باب في مطاعن المعجزات واجوبتها وهو موضوع مهم جداً للباحثين عن مدى التفكير الاسلامي وآراء الملاحدة في الدور العباسي والمؤلف في هذا البحث يأتي بآراء محمد بن زكريا الرازي وبآراء ابن الراوندي وبآراء غيرهما يذكر نصوص عبارات هؤلاء من كتبهم ويذكر الرد عليهم من ابن الحيات وغيره والبحث كما قلنا واسع ومفصل وشرحه في عدة فصول واليك بعض فصل من ذلك : فصل : ثم طعن ابن زكريا الرازي في المعجزات من وجه آخر فقال وقد يوجد في طبائع الاشياء اعايب وذكر حجر المغناطيس وجذبه للحديد وباغض الحل وهو حجر اذا نلق في اناء خل قاذ به تركب منه ولم ينزل الى الحل والزهر يسيل عين الافعى والسحكه الرعدة يرتعد صاحبها ما دامت في الشبكة قال فلا يتمتع ايضاً فيما اتى البطاة انها ليست منهم بل ببعض الطبائع الا ان يدعي انه احاط بجميع طبائع جواهر العالم وامتناع ذلك بين وذكر ابواسحاق ابن عياش انه اخذ هذا على ابن الراوندي فانه قال في كتاب الزمرد على من يحتج بصحة النبوة بالمعجزات ومرتين لكم ان الخلق يعجزون منه هل شاهدتم الخلق طراً أو احظتم علماً بشيء من قولهم وما لهم فان قالوا نعم كذبوا لانهم لم يجولوا الشرق والغرب وامتنعوا الناس جميعاً ثم ذكر افعال الاحجار كحجر المغناطيس وغيره قال ابواسحاق فاجابه ابو علي في نقضه عليه ان يجوز انه يكون في الطبائع . الخ والرد طويلاً جداً لا يسع هذا المكان ذكره والكلام في هذا الباب

رسالة البراءة

سألني ذات ليلة لاهة وقد أغرقها عطر

القدح البنفسج . كيف تراني فقلت :

سألت الفؤاد الذي عذبا بحبك سراء ان يكتب
وماذا يقول الفؤاد الجريح وفي سحر عينيك قد كهربا
فانت الربيع الذي لا يزول اذا صوّح الروض أو أجديبا
وانت ائتلاق الصباح الجديد اذا شمع الليل أو غيبا
وانك فوح شذى الياسين وانك انفاس زهر الربى
وصوتك لحن عميق الصدى فتنت به الببل المطربا
كسالك الشباب برود الجمال فجملت بالحن نوب الصبا
ونورت روعي بنور الهوى ولحت بآفاقه كوكبا
وعذبت قلبي وكان الحلي فقلبي لولاك ما عذبا
وانطقت بالحب عودي الصموت فوق ألحانه معجبا
وما يمنع الشاعر العبقرى اذا هام بالحن أو اطنبا
فمنك النشيد الذي صاغه ولولا عيونك ما شيبا
تعباد عبد القادر الناصري

مقسم الى سبعة فصول عزيزة المغال لقلة المنقولات عن ابن زكريا وابن الراوندي وغيرهما مع ذكر الرد عليهم من قبل علماء المسلمين ومناقضة اقواله وفي آخر الكتاب فصول في أحوال الفواب الاربعة اختصرها الطابع لنسخة ايران كما اختصر غيرها .

حميد الجبيلي

مكتبة الزهور في النجف

اصحابها السيد محمد علي الكنتبي

تباع فيها مجلة البيان وسائر المجلات والصحف والكتب العربية